البحارة البرّية

تهتمّ روسيا في هذه الايام بعملٍ يُعدّ من اعظم اعمال الدول في هذا العصر وهو وصل البحر البلطيك بالبحر الاسود وكفى بالاقدام على هذا العمل دليلاً على قوّة هذه الدولة العظيمة بعد ما قامت بهِ من العمل السابق الذي لم تكد تفرغ منهُ بعد وهو مد السكة الحديدية السيبيرية التي قُدّرت نفقاتها باربع مئة مليون روبل وقد قُدّرت نفقات العمل الثاني الذي تنويهِ الآن بمئة وعشرين مليون روبل وسيستغرق مدة خمس سنوات

ومسافة الخطّ بين البحرين المذكورين تبلغ ٩٩٤ ميلاً يمرّ في اثنآئها على عدة انهر هي خلجانٌ طبيعية يمكن ركوب اكثرها بالسفن لكن يعترضهُ مما يلي جهة البحر الاسود عدة شلالات على مسافة نحو اربعين ميلاً وهي العقبة الوحيدة في سبيل هذا العمل العظيم . وسيُجعل عمق هذا الخليج ٢٨ قدماً انكليزية ويكون ابتدآؤهُ من عند دونامُند من خور ريغا وينتهي الى كاترينوسلاف فيمرّ على موانى ريغا ومنسك وكياف وما يلي تلك المواضع الى خرسون . ولا يجهل احدٌ ما يترتب على هذا الخليج العظيم من المنافع لانهُ يكون لهذه الدولة بمنزلة سكة حديدية تُنقل عليها الجنود برّافيفيد بلادها منعةً لا تُقهَر فضلاً عما فيهِ من الفوائد التجارية بتسهيل النقل ولاسيما وان الموانى التي يمرّ فيها فُرَضٌ لأخصب اراضي الروسية واغناها تربةً وستعمر بسببهِ الاراضي الغامرة المهملة على ضفاف الخليج فتزداد بذلك مدن روسيا الآهلة وقوتها البحرية ومواصلاتها التجارية

وقد اخذت فرنسا منذ مدةٍ تبحث في فتح خليج تجعل بهِ مدينة باريز فُرضةً بحرية وهو امرٌ طالما تمثل لهذه الدولة لما تعلم فيهِ من المنافع الجليلة واول من تفطن لهُ الدوك دي سولّي مستشار الملك هنري الرابع في اواخر القرن السادس عشر الا انهُ لم يزل امنيةً لهم تتردّد في خواطرهم وكان من جملة اماني نابليون الاول واحلامهِ اذ كانت تحدثهُ نفسهُ ان يجعل الهفر وروان وباريز مدينةً واحدة يكون السين طريقها الاعظم ولكن حيل بينهُ وبين هذه البغية بما شغل ذرعهُ من مناوأة الممالك واتصال المعارك . ولما كانت سنة ١٨٢٣ عادوا الى البحث فيهِ فقرروا وجوب مباشرتهِ فعلاً ولكن عرضت من دونهِ الثورة التي نجمت سنة ١٨٣٠ فتوقفوا عنهُ الى ان نبههم اليهِ ما رأوهُ في هذه الايام من تخلف تجارتهم بمزاحمة المانيا وصرفها الصادرات عن طريق الهفر الى طريق انفرس بسبب رخص أُجَر النقل فلم يجدوا بدًّا من العود اليهِ تداركاً لما لحق تجارتهم من الوهن والكساد . والخليج المذكور سيُمَدّ من باريز الى روان ويكون طولهُ ١٨٥ كيلو متراً وقد فرضوا لهُ ٧ امتار من العمق في ٣٥ متراً عرضاً وقُدّرت نفقتهُ بزهاء ١٥٠ مليون فرنك على ان اتخاذ الخلجان لاجرآء السفن مما اصطلح الناس عليهِ قديماً وقد سبق اليهِ الصينيون من عهدٍ بعيد ويقال انهم اول من احنفر الخلجان وحبس المياه بالسدود وتعاطى البحارة البرية فليس في بلادهم إيالةٌ الا وهي مخترقةٌ بخليج عظيم تتفرع منهُ تُرَعٌ صغيرة تتوزع في كل وجه حتى لا يُرَى عندهم مدينة ولا دسكرة الا وفيها مجرًى للسفن يصل بينها وبين معظم المملكة وكل ما يتعاطونهُ من نقلٍ او سفر يكون في تلك الخلجان واعظمها

الخليج الملكيّ المتصل بمدينة باكين

ومثل الصينيين في ذلك المصريون الاولون فانهم فضلاً عما احتفروهُ من الترع التي يوزعون بها مآء النيل على الاراضي الزراعية وهي تبلغ لا اقلّ من ستة آلاف ترعة كان عندهم خلجانٌ عظيمة لاجرآء السفن اشهرها خليجان احدهما خليج الاسكندرية وهو خليج واسع يبلغ عرضهُ في بعض الاماكن الى ٢٥٠ متراً كان يجري فيهِ النيل الى الاسكندرية عن طريق بحيرة مريوط . قال المسعودي وقد كان الاسكندر بنى الاسكندرية على هذا الخليج من النيل وكان عليها معظم النيل فكان يسقي الاسكندرية وبلاد مريوط وكانت بلاد مريوط في نهاية العمارة وكانت السفن تجري في النيل وتتصل باسواق الاسكندرية وقد بلّط ارض خليجها في المدينة بالاحجار والمرمر . اه . واستمرّت السفن تجري فيهِ الى عهد ولاية الرومان ثم أُهمل بعدهم شيئاً فشيئاً حتى رُدِم بتراكم الرمال ولبث معطلاً الى زمن الحاكم بامر الله فامر بفتحهِ سنة ٤٠٤ للهجرة ورُدِم بعد ذلك مراراً ففتحهُ الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٤ ثم الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٠ ثم الملك الاشرف برسباي سنة ٨٢٦ ثم انطمّ بالرمال ولبث كذلك الى ان اعاد فتحهُ نابليون الاول سنة ١٧٩٨ . والخليج الآخر خليج مصر وكان يصل بين مصر وبلاد العرب ممتدًّا من لدن بوبَسْت المعروفة اليوم بتلّ بسطة الى بركة التمساح عند البحر الاحمر على طول ١٢٥ ميلاً وكان الشروع في حفرهِ على عهد الملك نخو سنة ٦٣٠ قبل الميلاد وتمّ على عهد داريوس هستاسب احد ملوك الفرس الاولى نحو سنة ٥٠٠ من التاريخ المذكور .

ولبثت تجري فيهِ السفن الى زمن استيلاء الرومان على مصر ثم تغلبت عليهِ الرمال وردمتهُ فاعاد حفرهُ الملك طراجان والملك ادريانس من بعدهِ فعاد الى سابق حالهِ واستمرّ كذلك الى اوائل القرن السادس للميلاد ثم رُدِم . وفي القرن السابع افتتح المسلمون مصر فجدد حفرهُ عمرو بن العاص بامر الامام عمر بن الخطاب واوصلهُ الى مصر القديمة فاصبح طولهُ جملةً ٢٠٠ ميل واستمرّ على حالهِ تلك الى ان ردمهُ الخليفة ابو جعفر المنصور حين خرج عليهِ محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة ليقطع عنهُ الطعام وذلك سنة ٧٧٥ للميلاد فسُدَّ الى الآن وصار منتهاهُ الى المكان المعروف بذنب التمساح من ناحية بطحاء القلزم

وقد خلف هذا الخليج خليج السويس الحالي وكان حفرهُ على يد دليسبس المشهور في عهد المغفور لهُ سعيد باشا وهو يخترق ما بين بحر السويس والبحر الرومي مارًّا في بركة التمساح التي انتهى عندها الخليج الاول وكان الشروع فيهِ سنة ١٨٥٦ وطولهُ ١٦٠ كيلومتراً وعرضهُ ٧٥ متراً واجريت فيهِ السفن في ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٦٩

واما في اوروبا فاشهر ما كان من ذلك الخليج الذي يصل بين البحر الاسود والبحر الشمالي ممتدًّا من مصبّ الدانوب الى مصبّ الرين وقد كان هذا الخليج مما تمثل للملك شرلمان سنة ٧٩٤ ثم لم يُفسح لهُ في الاجل لاتمامهِ فبقي امرهُ مهملاً ما ينيف على عشرة قرون من الزمن الى ان تهيأ اتمامهُ سنة ١٨٤٥ وهو الخليج المعروف بخليج لويس . ثم الخليج الذي بوشر حفرهُ على عهد لويس الرابع عشر وهو المسمى بخليج الجنوب وخليج

البحرين وهو يخترق جنوبي فرنسا من الطرف الى الطرف ويصل البحر المتوسط بالمحيط الاتلنتيك وطولهُ ٢٤٠ كيلومتراً وعرضهُ عشرون متراً وكان الشروع فيهِ سنة ١٦٦٦ وتم سنة ١٦٨٤ . ثم الخليج المسمى بخليج برغونيا وهو يصل بين نهري السين والرون وطولهُ ٢٤٠ كيلومتراً . ثم خليج نيڤرناي وهو يصل بين السين واللوار وطولهُ ١٧٦ كيلومتراً . والخلجان في اوربا اكثر من ان تُحصَى حتى لا تخلو اليوم مملكةٌ عن شيءٍ منها فنقتصر منها على ما ذكرناهُ حب الاختصار

القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الكاتب الفاضل خليل بك سعد

وقع لي ان اطلعت بالامس على العدد السادس عشر من مجلة المشرق الكاثوليكية لحضرات الآباء اليسوعيين فوجدت فيها انتقاداً على مقالتي التي ظهرت مؤخراً في مجلة الضيآء الوضآءة تحت عنوان القوى العاقلة في الحيوان . وقبل الشروع في الرد على ما اخذهُ عليَّ حضرة المنتقد الفاضل الاب لويس شيخو اليسوعي اراني مدفوعاً بالواجب الادبي الى أداء الشكر لفضل حضرات الآباء اليسوعيين في نشر المعارف ولوقوفهم بالمرصاد لانتقاد كل ما يشتمون فيهِ رائحة المباينة للمبادئ الموكول اليهم تعضيدها فيخدمون بذلك الامة والعلم خدمةً تذكر فتشكر اذ لا يخفى ما يترتب على الانتقاد والمناظرات الادبية في العلم من الفوائد الكثيرة التي تنجم عن البحث واحتكاك القرائح فضلاً عن استلفات الجمهور للمطالعة والاستفادة . وحبذا كل انتقاد